فريق موقع الآجري للتفريغ

سلسلة تفريغات الثالثة

(٠١)

شَرحُ

كِتَـــابِ الكَبَـــائِرِ وَتَبْيِينِ الْمَحَارِمِ

تَأْلِيف

الْحَافِظِ أَبِي عَبْدِاللهِ مُحَمَّدِ بنِ أَحْمَدٍ بنِ عُثْمَانَ بنِ قَايمَازِ الذَّهَبِيّ

٦٦٣-٧٤٨ هـ

لفضيلة الشيخ

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

مقدمة الشارح

[أشرطة مفرغة]

بسم الله الرحمـٰن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد،

فإنّ بين يدينا كتاب مبارك مؤلف قيم للإمام الحافظ الذهبي رحمه الله في موضوع **الكبائر**، والذي ينبغي على كل مسلم وليس فقط من هو معتن بطلب العلم أن يعرف الكبائر التي أمرنا الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ باجتنابها ونهاه عن قربانها في غير ما آية من كتاب الله عز وجل، كذلك نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته، وهـٰذا الاجتناب للكبائر لا يكون إلا بعد العلم بها، فالأمر كما قال بعض السلف: *كيف يتقي من لا يدري ما يتقي*. كيف يتقي الكبائر ويجتنبها من لا يدري ماذا يتقي، ولا يعرف خطورتها ولا يعرف ما جاء في نصوص الكتاب والسنة من الوعيد الشديد عليها وعلى فعلها.

ولهذا كان متأكدا على كل مسلم أن يعرف الكبائر وأن تكون نيته في هـٰذه المعرفة اجتنابها والبعد عنها كما قيل:

تعلم الشر لا للشر ولكن لتوقيه ... فإن من لم يعرف الشر من الناس يقع فيه

فيعرف المحرمات ويعرف الآثام ويعرف هـٰذه الأمور التي تسخط الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ وتغضبه بنية اجتنابها والبعد عنها والحذر من الوقوع فيها.

ولما كان هـٰذا المقام مقاما عظيما وجانبا مهما من جوانب الدين؛ لأن الدين قائم على فعل المأمور وترك المحذور، وهـٰذه حقيقة تقوى الله جل وعلا: **العمل بطاعة الله على نور من الله رجاء ثواب الله وترك معصية الله على نور من الله خيفة عذاب الله.**

وهـٰذا التوقي والاجتناب والترك لا يكون إلا بالعلم أولا، ولهذا قيل في تعريف التقوى (العمل بطاعة الله على نور من الله وترك معصية الله على نور من الله) والمراد بالنور العلم الذي يميز به المسلم بين الحق والباطل والهدى والضلال والسنة والبدعة، كل ذلك لا يتحقق للمرء معرفته إلا بالعلم؛ العلم النافع المستمد من كتاب الله وسنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه.

وقد اعتنى أهل العلم بهذا الباب عناية فائقة، وكتبوا فيه قديما وحديثا مؤلفات كبيرة، فكم ألف في هـٰذا الموضوع من مؤلفات بهذا العنوان "**الكبائر**" وأخلصت تلك المؤلفات لعد الكبائر الكبيرة الأولى الكبيرة الثانية الثالثة، أخلصت لعدها فلماذا هـٰذا الجمع للكبائر وتتبع أدلتها وسردها في موضع واحد وفي مؤلف واحد؟

فالغرض من هـٰذه المصنفات تعريف المسلمين وتعريف الناس بكبائر الذنوب والموبقات المهلكات حتى يكون الناس على حذر منها، وعلى بعد من الوقوع فيها.

وهـٰذا الكتاب الذي هو كتاب الكبائر للذهبي هو من أحسن ما ألف في هـٰذا الباب، ففيه جمع مبارك وتحرير متقن وانتقاء للأدلة من كتاب الله وسنة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع تعليقات نافعة للغاية من مصنفه رحمه الله.

ويوجد في الساحة كتابان بهذا العنوان "**الكبائر للذهبي**" أحدهما أكبر حجما من هـٰذا الكتاب الذي بين أيدينا وأوسع مادة علمية من هـٰذا الكتاب، ففيه سعة في ذكر النصوص والأدلة، وإن كان أقل عددا في ذكر الكبائر حيث فيه سبعين كبيرة، وهـٰذا الذي بين يدينا فيه ست وسبعون كبيرة.

والكتاب الأول من يراجعه ويتأمله -الذي هو الكبير- قد يقع في نفسه شك من صحة نسبته للإمام الذهبي رحمه الله؛ لأن للإمام الذهبي منهج معروف في الروايات ونقدها والتنبيه على ما لم يصح منها، ولاسيما الموضوعات والواهيات، وذاك الكتاب فيه كثير من الأحاديث الموضوعة والأحاديث الواهية التي سيقت في الكتاب بلا تنبيه مما هو مخالف للطريقة التي عليها هـٰذا الإمام، بخلاف هـٰذا الذي بين أيدينا فإنه سليم من هـٰذا وفيه نفس الذهبي المعروف رحمه الله في مؤلفاته.

ولهذا بعضهم قال: لعل الكتاب الأول جمعه الذهبي كمسودة للباب، ثم بعد انتهائه منه كتب هـٰذا الكتاب.

وآخرون -ولعله هو الأقرب- يشككون في صحة نسبة هـٰذا الكتاب أصلا للذهبي، ويقال: لعله وجدت نسخة خطية ومشهور عن الذهبي أن له كتاب في الكبائر فنسبت إليه.

وعلى كل حال المعتمد هو هـٰذه النسخة المختصرة المشتملة على ستٍّ وسبعين كبيرة، وليس فيها ما في ذلك الكتاب من الأخبار الواهية والأحاديث الموضوعة وقد يكون في بعضها في سنده مقال ينبه عليه رحمه الله كما هي عادته في مصنفاته.

ونبدأ الآن بالقراءة في هـٰذا الكتاب، ومدة الدورة ستة أيام بعد صلاة الفجر والكتاب حجمه كبير؛ لكن نسأل الله جل وعلا أن ييسر لنا إتمامه، وأن يوفقنا للعلم بهذه الكبائر بنية صالحة وقصد مبارك، وأن يجعل ما نقرؤه ونتعلمه حجة لنا لا علينا، وأن يجنبنا ما يُسخطه سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ وأن يوفقنا لكل خير وعمل صالح يحبه ويرضاه.

۞۞۞۞